جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة تكريت
قسم اللغة العربية
دكتوراه اللغة العربية ـ لغة

قراءات في كتاب سيبويه

"التعريف بسيبويه وكتابه"

أ . د. نافع علوان بهلول الجبوري

المحاضرة السادسة

باب الاشتغال

٢٠٢٤ م ١٤٤٦ هـ

(هذا باب ما يكون فيه الاسم مبنياً على الفعل قُدِّم أو أُخِّر وما يكون فيه الفعل مبنياً على الاسم)

عنوان الباب يَشِي بأنَّ سيبويه لم يُفرد للاشتغال باباً ، بل جعله دخيلاً بين المفعول به والمبتدأ واعتمد على تمثيله بجملة (زيداً ضربته) تقودنا إلى أنَّ الاشتغال شيئاً ثالثاً ليس كالمبتدأ وليس تركيباً معهوداً كالمفعول به ، ولكن إذا ما أبحرنا في مضمون الباب بشكل مستفيض وجدنا أنَّ سيبويه لم يترك لغيره في باب الاشتغال شيئاً.

- **هل استعمل سيبويه مصطلح الاشتغال ؟**

فيما يتعلق بالمصطلح فإنَّه وإن أغفل ذكره صراحة، إلا أنَّه أشار إليه ضمناً بقوله: "وإنما حَسُن أن يُبنى الفعل على الاسم حيث كان معملاً في المضمر وشغلته به ولولا ذلك لم يحسن لأنك لم تشغله بشيء"[١] .

- **ما معنى أن يكون الاسم مبنياً على الفعل ؟** أي أن يكون الفعل عاملاً في الاسم سواء تقدَّم الاسم أو تأخَّر نحو: ضربتُ زيداً أو زيداً ضربتُ ، وأراد بقوله **(وهو الحد)** إلى أن الأصل في الجملة التي مسندها فعل أن يتقدم الفعل على الاسم أي أن تأتي بالفعل أولاً ثم الفاعل ثم المفعول به وهذا يكون في المضمر كما يكون في الظاهر إذا قلنا (ضرب عبد الله زيداً) وإن قدمت الاسم نحو زيداً ضربتُ فهو عربي جيد كما في قولنا ضربتُ زيداً عربي جيد.
- **ما معنى بناء الفعل على الاسم؟** يقول سيبويه: "**فإذا بنيت الفعل على الاسم قلت : زيدٌ ضربته ، فلزمته الهاء**"[٢] ، معنى بناء الفعل على الاسم أي أنك تجعل الفعل في موضع الإخبار عن الاسم فتجعل الاسم أولاً في الرتبة وتجيء بالفعل لتخبر به عن المبتدأ.

- يقول سيبويه : "**وإن شئت قلت : (زيداً ضربته) وإنما نصبه على إضمار فعل هذا يفسره، كأنك قلت : ضربتُ زيداً ضربتهُ ، إلا أنهم لا يظهرون هذا الفعل هنا للاستغناء بتفسيره**"[٣]، جلُّ باب الاشتغال استوعبه بقوله هذا إذ يدلنا بمثاله (زيداً ضربته) على حد الاشتغال وأركانه وناصبه وصوره ،يا لدقته باللفظ ،فالمثال عنده أكثر سخاءً من كونه مجرد مثال ،فهو يحدثنا عن أول صور الاشتغال في قولنا (زيداً ضربته) فالعامل اشتغل عن الاسم المتقدم بضميره ولو سلط على الاسم لنصبه.
- **أما أركان الاشتغال :** تتمثل بوجود اسم وفعل وضمير في قولنا (زيداً ضربته) وهي :

  مشغول عنه (الاسم المتقدم) : زيداً

  مشغول به : وهو الضمير الذي يتعدى إليه الفعل سواء بنفسه أو بالواسطة

  مشغول : وهو الفعل المتأخر الذي اشتغل بضميره[٤].
- **ناصب الاسم المتقدم :**

---

(١) كتاب سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، تح : عبد السلام محمد هارون : ١ / ٩٢.
(٢) المصدر نفسه : ١ / ٩٢.
(٣) المصدر نفسه : ١ / ٩٢.
(٤) ينظر : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، ابن عقيل المعقيلي : ٢ / ٩٤.

الاسم المتقدم وهو المشغول عنه منصوب بإضمار فعل يفسره الفعل بعده ، فـ(زيداً) مفعول به لفعل محذوف وتقدير جملة (زيداً ضربته) (ضربتُ زيداً ضربته) وهذا الفعل مضمر وجوباً ، ما بعده مفسر له فلا يجوز الجمع بين المفسِّر والمفسَّر. وهذا ما أراده بقوله "الاستغناء بتفسيره" فهو يعلل لنا سبب حذف الفعل وجوباً لتفسير ما بعده له. و "إنَّ هذا الفعل الناصب لزيد في قولك: (زيداً ضربته) فعل مضمر لا يظهر لتفسير الفعل الثاني له .

فماذا أراد سيبويه بقوله: "وترك إظهار الفعل ها هنا ترك الإظهار في الموضع الذي تقدم فيه الإضمار"[١] ؟

يبين علة عدم إظهار الفعل فلا يظهر الفعل الناصب للاسم المتقدم كما لا تظهر الهاء التي هي ضمير القصة والحديث في نحو قوله عز وجل (إنَّه من يأتي ربَّه مجرماً) ؛ لأنَّ ما بعده مفسر له ودالٌ عليه"[٢] فمثل الإضمار في هذا الموضع مثله في ضمير الشأن الذي يأتي كناية عن الشأن والقصة، "وكذلك المضمر في (نِعم)من قولك: (نِعم رجلاً) والهاء في قولهم (ربه رجلاً) كل هذا من المضمر الذي لا يظهر لتفسير ما بعده له ، ودلالته عليه ، وقد نص سيبويه هنا على أن المضمر في (نِعم) على شريطة التفسير لا يظهر"[٣] .

- ويستشهد سيبويه بقوله تعالى **(وأما ثمودُ فهديناهم)** وقد قُرأت بالنصب أيضاً، "وهو شاهد على حسن الرفع لأنَّ أكثرَ القراء عليه ويجوز النصب كما جاء في بعض القراءات (وأما ثمودَ فهديناهم) وتقديره وأما ثمود فهدينا فهديناهم لأنَّ أما لا تدخل إلا على الاسم دون الفعل"[٤] وهذا التقدير (وأما ثمودَ فهدينا فهديناهم)، يذهب لدحض الوجوب في الرأي القائل بأنَّ الفعل المضمر يجب أن يُقدر قبل الاسم المنصوب إذ يقول ابنُ هشام في المغني "فيجب أن يقدر المفسِّر في نحو زيداً رأيته مقدماً عليه"[٥] وهذا الرأي مردود بدليل الآية ؛ لأنَّ أما لا يأتي بعدها إلا اسم، ومن ذلك بشر بن خازم:

فأما تميمٌ تميمُ بنُ مُرٍّ فألفاهم القومُ رَوبَى نِياما

"فهذا شاهد على أن الرفع أجود لأنَّ أكثر إنشاد العرب عليه وشاهد في جواز النصب لأن من العرب من ينصب"[٦] . هذا مما جاز فيه الرفع والنصب، والرفع أجود لأن عدم التقدير أولى من التقدير ففي النصب يكون التقدير ، (فأما تميماً تميمَ بن مر فألفى فألفاهم).

ومنه قول ذي الرمة: إذا ابنُ أبي موسى بلالٌ بلغته

- وجميع ما سبق من الوجوه ضربتُ زيداً وزيداً ضربتُ وزيدٌ ضربته وزيداً ضربته فهو مستعمل في كلام العرب. ومثلما جاز في ما سمي فاعله أربعة أوجه كذلك جاز فيما لم يسم فاعله أربعة وهي : زيدٌ أُعطيتُ وزيداً أُعطيتُ وزيدٌ أُعطيتُه وزيداً أُعطيته، ويعلل سيبويه ذلك : بقوله "لأنَّ أُعطيت بمنزلة ضربته"[٧].

---

(١) كتاب سيبويه: ٩٢.
(٢) التعليقة على كتاب سيبويه ، أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي ، تح : عوض بن حمد القوزي : ١ / ١١٤.
(٣) المصدر نفسه: ١١٤/١.
(٤) شرح كتاب سيبويه ، الرماني : ١ / ٢٠٩.
(٥) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ابن هشام : ١ / ٧٩٩.
(٦) شرح كتاب سيوبه ، الرماني : ١ / ٢١٠.
(٧) كتاب سيبويه : ١ / ٩٣.

- يقول سيبويه : "**فإن قلت زيدٌ مررت به فهو من النصب أبعد من ذلك لأن المضمر قد خرج من الفعل وأضيف إليه بالباء ، ولم يوصل إليه الفعل في اللفظ فصار كقولك : زيد لقيت أخاه**"[١] . يحدثنا سيبويه عن الصورة الأخرى من صور الاشتغال في الفعل الذي لا يتسلط على ضمير الاسم المتقدم بنفسه نحو: (زيداً مررتُ به) وهذا الوجه بالرفع أرجح لأن الفعل الذي تعدى بحرف الجر لازماً فلا تستطيع تقديره مضمراً للاسم المشغول عنه ، فبالنصب تضمر فعلاً خلاف لفظ الفعل الظاهر فتقدير (زيداً مررتُ به) لقيتُ زيداً مررت به أو رأيت زيداً مررت به في حين في الاسم الذي يشتغل عنه الفعل بضميره تقدر له فعلاً من لفظ الفعل الظاهر نحو : (زيداً ضربته) التقدير (ضربتُ زيداً ضربته).
- يقول سيبويه : "**وإذا قلت زيدٌ لقيتُ أخاه فهو كذلك**"[٢] ، يتحدث هنا عن الوجه الثالث من الاشتغال هو أن يشتغل عنه الفعل بمتعلقه نحو: زيدٌ لقيتُ أخاه ويريد بقوله (وهو كذلك) في هذا التركيب أيضاً الرفع فيه أرجح لما تقدم في أنك تقدر فعلاً مضمراً ليس من لفظ الفعل الظاهر . يقول سيبويه : "وإذا نصبت (زيداً لقيت أخاه) فكأنه قال لابست زيداً لقيتُ أخاه يعني أن نصب زيد بوقوع الفعل على سببه بمنزلة أكرمت زيداً وإن كان الإكرام وصل إلى غيره بسببه"[٣] . إذ يُرجِّح الرفع في نحو (زيداً مررت به) و(زيداً هدمتُ داره) لأنك في النصب تقدر فعلاً ناصباً للاسم المتقدم ليس من لفظ الفعل المذكور.
- **هل للاسم المتقدم وجوه محتملة من الإعراب وما علة كل وجه؟**

نعم ، فلدينا أربعة تراكيب يجوز في كل منها الرفع والنصب مع اختلاف الترجيح:

١- **(زيداً ضربتُ)** : هذا الوجه يجوز فيه النصب والرفع ، ويرجِّح سيبويه فيه النصب لأنَّ الفعل (ضرب) فعل متعد لم يستف مفعوله ، ويجوز فيه الرفع على ضعف ، ومن جوَّز الرفع على تقدير هاء محذوفة ، فيكون التقدير زيدٌ ضربته.

٢- **(زيدٌ ضربته)** : يجوز فيه الرفع والنصب ويرجح سيبويه الرفع على أن يكون (زيدٌ) مبتدأ وتكون جملة (ضربته) في محل رفع خبر لـ (زيد) ، لأنَّ الكلام على هذا النحو لايحتاج إلى تقدير ، وعدم التقدير أولى من التقدير ، ويجـوز النصب على أن تقـول : (زيدًا ضربته) وهذا غير راجح لان (زيدًا) سيحتاج إلى تقدير فعل محذوف فتقول : (ضربت زيدًا ضربته). فيكون تقدير الفعل المحذوف من لفظ ومعنى الفعل المذكور.

---

(١) المصدر نفسه: ١ / ٩٣.
(٢) المصدر نفسه : ١ / ٩٤.
(٣) شرح كتاب سيبويه ، السرافي : ١ / ٣٧٧.

وقد يتساءل أحدهم ما الدليل على أن الاسم المنصوب في نحو (زيدًا ضربته) منصوب بفعل مقدَّر ؟

الدليل هو قولك مثلاً (زيدًا مررتُ به) فلا يجوز أن يكون (زيدًا) منصوباً بالفعل (مرَّ) لأن الفعل (مرَّ) فعل لازم لا يتعدى الى مفعوله إلا بواسطة حرف جر ، وإنما (زيدًا) مفعول به لفعل محذوف من معنى الفعل المذكور كأن تقول (لقيت زيدًا مررت به) أو (أتيت زيدًا مررت به).

٣- **(زيدٌ مررتُ به)** : يجوز فيه الرفع والنصب ، ويرجِّح سيبويه الرفع ويقول فيه : وهو إلى النصب أبعد، لأنَّ في قولنا : **(زيدًا مررت به)** تُقدر الفعل المحذوف من معنى الفعل المذكور وليس من لفظه فتقول **(لقيت زيدًا مررت به)** وسبب آخر هو أن الفعل (مررتُ) اتصل بالضمير بواسطة الباء ولم يتعد لمفعوله مباشرة ، أما في جملة **(زيدًا ضربته)** فالفعل اتصل بالضمير مباشر بدون واسطة.

٤- **(زيدٌ لقيت أخاه)** : يجوز فيه الرفع والنصب ولكنه مثل **(زيدًا مررت به)** فكلاهما أبعد في النصب مقارنة بـ (زيداً ضربته) ويبقى الراجح فيهما هو الرفع، لانَّ الفعل وقع على سبب هذا المذكور والفعل وقع على الأخ ولم يقع عليه هو ،فأنت تقدر فعلاً ليس من لفظ ولا معنى الفعل المذكور، فالتقدير يكون : (لابست زيدا لَقِيتُ أخاه) ، وهذا ما جعل النصب أبعد بكثير من النصب في جملة (زيدًا ضربتهُ) وفي هذا كله لا يجوز إظهار الفعل المقدر لانَّ لا يجوز الجمع بين المفسِّر والمفسَّر . كل هذه التفاسير توضح (أنَّ النصب أبعد من الرفع ، فالرفع هو الراجح والأقوى) ، والنصب في (زيدًا مررتُ به) أكثر بُعداً من النصب في (زيدا ضربته) لنفس العلة.

- **سبب ترجيح الرفع على النصب فيما سبق:**

١. فِرارًا من التأويل والتقدير .

٢. أن الأصل في كلام العرب أن يُعبر بالاسم الظاهر نحو (مررتُ بزيدٍ ولقيتُ أخا عمرو).

- **فكأن سيبويه أشار إلى أقسام الفعل المضمر المقدر، وجعلها ثلاثة :**

١. أن يكون من جنس الفعل المذكور لفظًا ومعنى نحو (زيدًا ضربتهُ) والتقدير : ضربتُ زيدًا ضربته.

٢. أن يكون من معنى الفعل المذكور وليس لفظه نحو (زيدًا مررتُ به) والتقدير : لقيتُ زيدًا مررت به.

٣. أن يكون مخالفًا للفعل المذكور لفظًا ومعنى نحو (زيدًا لقيت أخاه) والتقدير : لابستُ زيدًا لقيت أخاه.

- الاشتغال لم يكن مقصورًا على الفعل بل قد يكون في الأداة مثل (لو) إذ يأتي بعدها ما هو متأثر بها وإن كانت غير عاملة ، فالاشتغال ليس شرطاً في الأفعال والأسماء العاملة والأدوات العاملة ، هي تشغل الاسم بعدها بحكم أنها داخلة عليه وهي حرف شرط امتناع لامتناع والشرط يقتضي فعل شرط وجوابه أو جزاء ومعاقبة ...

أما **حدُّ الاشتغال** الذي ذكره المتأخرون فهو مأخوذ من صور الاشتغال التي ذكرها سيبويه والتي هي : (زيداً ضربته، وزيداً مررت به، و زيداً لقيتُ أخاه) .إذ يحدَّه المتأخرون بقولهم : "أن يتقدم اسم ويتأخر عنه فعل متصرف أو اسم يشبهه ناصب لضميره أو ملابس ضميره بواسطة أو غيرها ويكون ذلك العامل بحيث لو فُرغ من ذلك المعمول وسلّط على الاسم المتقدم لنصبه"[١].وبهذا يكون سيبويه قد تناول باب الاشتغال حدّ الاشباع ،ولم يدع فيه شيئاً لغيره.

(١)شرح التصريح على التوضيح: ٤٤١/١.